مختصر
جامع العلوم والحكم

للإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي

اختصره وعلق عليه

محمد بن سليمان بن عبد الله المهنا

بسم الله الرحمن الرحيم

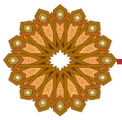

الحَدِيثُ الخَامِسُ والعِشْرُونَ

■ عن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أُنَاسًا مِن أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا للنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بالأُجُورِ؛ يُصلُّونَ كمَا نُصَلِّي، ويَصُومُونَ كمَا نَصُومُ، ويَتَصَدَّقُونَ بفُضُولِ أَمْوَالِهم. فقالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، ونَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي الحَرَامِ؛ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلَالِ؛ كانَ لَهُ أَجْرٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشَّرحُ

في هذَا الحديثِ دليلٌ علَى أنَّ الصَّحابةَ كانُوا يحزنونَ علَى مَا يتعذَّرُ عليهِم فِعْلُه مِن الخيرِ ممَّا يقدرُ عليهِ غيرُهم.

وفي هذَا الحديثِ: أنَّ الفقراءَ غَبَطُوا أهلَ الدُّثُورِ - والدُّثُور هِيَ الأموالُ - بمَا يحصلُ لَهم مِن أجرِ الصَّدَقَةِ بأموالِهِم؛ فدَلَّهم النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَى صَدَقَاتٍ يقدِرُونَ عليهَا.

وفي «الصَّحيحينِ»، عَن أبي صالحٍ، عَن أبي هُرَيرةَ: أنَّ فقراءَ المهاجرينَ أتَوا النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقالُوا: ذَهَبَ أهلُ الدُّثُورِ بالدَّرجاتِ العُلَى والنَّعيمِ المُقيمِ! فقالَ: «ومَا ذاكَ؟»؛ قالُوا: يُصَلُّونَ كمَا نُصلِّي، ويصومونَ كما نصومُ، ويتصَدَّقونَ ولَا نتصدَّقُ، ويُعتِقُونَ ولَا نُعتِقُ؛ فقالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أفلَا أعلِّمُكُم شيئًا تُدْرِكُونَ بهِ مَن قدْ سبقَكُم، وتَسبِقُونَ بهِ مَن بعدَكُم، ولَا يكونُ أحدٌ أفضلَ مِنكُم، إلَّا مَن صنعَ مِثْلَ مَا صنعتُم؟»؛ قالُوا: بلَى يَا رَسُول اللهِ؛ قالَ:

«تُسبِّحونَ، وتكبِّرونَ، وتحمَدُونَ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثينَ مَرَّةً»، قالَ أبو صالحٍ: فرجعَ فقراءُ المهاجرينَ إلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقالُوا: سَمِعَ إخوانُنا أهلُ الأموالِ بمَا فعلْنَا؛ ففعلُوا مِثْلَهُ! فقالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذلكَ فضلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَن يشاءُ»(١).

ومعنَى هذَا: أنَّ الفقراءَ ظنُّوا أنْ لَا صدقةَ إلَّا بالمالِ وهُمْ عاجزونَ عَن ذلكَ، فأخبرَهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنَّ جميعَ أنواعِ فِعْلِ المعروفِ والإحسانِ صَدَقَةٌ.

والصَّدَقَةُ بغيرِ المالِ نَوعانِ:

أَحدُهما: مَا فيهِ تعديةُ الإحسانِ إلَى الخَلْقِ؛ فيكونُ صَدَقَةً عليهِم، وربَّما كانَ أفضلَ مِن الصَّدَقَةِ بالمالِ؛ وهذَا كالأمرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عَن المُنكرِ؛ فإنَّه دعاءٌ إلَى طاعةِ اللهِ، وكفٌّ عَن مَعاصيهِ، وذلكَ خيرٌ مِن النَّفْعِ بالمالِ، وكذلكَ

(١) أخرجَهُ البُخَارِيُّ (٨٤٢)؛ ومُسلِمٌ (٩٥).

تعليمُ العِلْمِ النَّافِعِ، وإقراءُ القرآنِ، وإزالةُ الأذَى عَن الطَّرِيقِ، والسَّعْيُ في جَلْبِ النَّفْعِ للنَّاسِ، ودَفْعِ الأذَى عَنهُم، وكذلكَ الدُّعاءُ للمسلمينَ، والاستغفارُ لَهم.

ومِن أنواعِ الصَّدَقَةِ: كفُّ الأذَى عَن النَّاسِ؛ ففِي «الصَّحيحينِ»، عَن أبي ذَرٍّ، قالَ: قلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قالَ: «الإيمانُ باللهِ، والجهادُ في سبيلِهِ»؛ قلتُ: فأيُّ الرِّقابِ أفضلُ؟ قالَ: «أنْفَسُهَا عِندَ أهلِهَا، وأكثرُهَا ثَمَنًا»؛ قلتُ: فإنْ لَم أفعلْ؛ قالَ: «تُعينُ صانعًا، أَو تصنعُ لأخرقَ»؛ قلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أرأيتَ إنْ ضَعُفْتُ عَن بعضِ العملِ؟ قالَ: «تكفُّ شرَّكَ عَن النَّاسِ؛ فإنَّها صَدَقَةٌ»[1].

وقدْ صَحَّ الحديثُ بأنَّ نفقةَ الرَّجُلِ علَى أهلِهِ صَدَقَةٌ؛ وفي «صَحيح مُسلِمٍ»، عَن أبي هُرَيرةَ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «دِينارٌ أنفقتَهُ في سبيلِ اللهِ، ودِينارٌ أنفقتَهُ في رقبةٍ، ودِينارٌ

(١) أخرجَهُ البُخَارِيُّ (٢٥١٨)؛ ومُسلِمٌ (٨٤).

تصدَّقتَ بهِ علَى مسكينٍ، ودِينارٌ أنفقتَهُ علَى أَهْلِكَ؛ أفضلُها: الَّذِي أنفقتَهُ علَى أَهْلِكَ»[1].

وفي هذَا المعنَى أحاديثُ كثيرةٌ؛ يطولُ ذكرُهَا.

وفي «الصَّحيحينِ»، عن أنسٍ، عَن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «مَا مِن مُسلِمٍ يغرسُ غَرْسًا، أَو يزرعُ زرعًا؛ فيأكلُ مِنهُ إنسانٌ، أَو طيرٌ، أَو دابَّةٌ؛ إلَّا كانَ لهُ صَدَقَةً»[2].

النَّوعُ الثَّانِي مِن الصَّدَقَةِ الَّتِي ليستْ ماليَّةً: مَا نَفْعُهُ قاصِرٌ علَى فاعلِهِ؛ كأنواعِ الذِّكْرِ.

ولَم يَذكرِ الصَّلاةَ، والصِّيامَ، والحَجَّ، والجِهادَ أنَّه صدقةٌ؛ لأنَّه إنَّما ذكرَ ذلكَ جوابًا لسؤالِ الفُقراءِ؛ الَّذِينَ سألُوه عمَّا يُقاوِمُ تطوُّعَ الأغنياءِ بأموالِهم؛ وأمَّا الفرائضُ، فقدْ كانُوا كلُّهم مشتركينَ فِيهَا.

---

(١) أخرجَهُ مُسلِمٌ (٩٩٥).

(٢) أخرجَهُ البُخَارِيُّ (٢٣٢٠)؛ ومُسلِمٌ (١٥٥٣).

وقَد تكاثرتِ النُّصوصُ بتفضيلِ الذِّكْرِ علَى الصَّدَقَةِ وغيرِهَا مِن الأعمالِ؛ كمَا في حديثِ أَبي الدَّرداءِ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «ألَا أُنبِّئُكُم بخيرِ أعمالِكُم، وأزكَاهَا عِندَ مَليكِكُم، وأرفَعِهَا في درجاتِكُم، وخيرٍ لكُم مِن إنفاقِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، وخيرٍ لكُم مِن أَن تَلْقَوا عَدُوَّكُم؛ فتضربُوا أعناقَهُم، ويضربُوا أعناقَكُم؟»؛ قالُوا: بلى -يَا رَسُول اللهِ-؛ قالَ: «ذِكْرُ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ». أخرَّجَهُ الإمامُ أحمدُ والتِّرمِذيُّ[1].

وفي المعنَى أحاديثُ أُخَرُ متعدِّدَةٌ.

❋❋❋

(١) أخرجَهُ أحمدُ (٥/ ١٩٥)؛ والتِّرمِذيُّ (٣٣٧٧)، وزادَ: فقالَ مُعاذُ بنُ جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا شيءٌ أنجَى مِن عذابِ اللهِ مِن ذِكْرِ اللهِ»، وقالَ عَنهُ الحاكمُ: «صحيحُ الإسنادِ»، وحسَّنَ إسنادَهُ المنذريُّ، وصحَّحَه الألبانيُّ في «صَحيح الترغيب» (١٤٩٣).